الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ٣/١٠/١٩٧٥

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

٦ ساعات فى ٦ أكتوبر

الإنسان سيد نفسه وسيد كل ما يواجهه

الحرب .. والمكسب لنا مهما كانت النتيجة

إالرئيس السادات وهو يتابع الخطة فى غرفة العمليات .

كيف تم تجهيز «المركز ١٠»

فى ٢٠ دقيقة بالضبط استطاع الطيران أن يرد هزيمته فى عامى ٥٦ و ٦٧

البيان الأول الذى أصدرناه لم يكن خدعة فقد كان بالنسبة لنا حقيقة

« ان احدا لايستطيع انيقدر المعاناة التى يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب ، ولقد عشت حياتى كضابط يعيش الحرب او يعد نفسه للحرب ، وأتخذت بعيدا عن الجيش قرارات لعمليات وطنية تقوم على اطلاق النار ، ولكن كل هذا لا يقاس بمسئوليه اتخاذ قرار حرب تشمل الامة كلها ، والجيش كله .. ان كل فرد سأدفعه بيدى الى خط النار ، وكل فرد قد يصبح شهيدا كما اصبح اخى عاطف ..

ثم من يضمن نتيجه هذه الحرب .. لا احد يستطيع ان يضمن نتيجة اى حرب .. الله وحده ..

ورغم ذلك فهناك دائما الدافع الاقوى من كل شىء .. دافع الاحساس بمصر ، وما نريده مصر ، واثبات وجود مصر .

مصر لا تزال تعيش ولا تزال قادرة على الحرب .. ولقد كنت وما ازال اثق ثقة كاملة فى قواتنا المسلحة ، وبعد تحليلى الدقيق لمعركة ١٩٦٧ بكل ما فيها من مرارة اصبحت اثق فى أن قواتنا المسلحه كانت ضحية من ضحايا الهزيمة وليست ابدا سببا لها ، وسأروى كيف اجتمعت بأبنائنا الضباط والجنود بعد ان أفاقت مصر من ذهول الهزيمة فى ١٩٦٧ لاكتشف هذه الحقيقه ليس فقط من فوق ارض المعركة . وانما ايضا من على ارض الوطن كله .. وكان هذا الدافع وحده هو ما يؤيد قرار الاعداد للحرب وهو الذى دفع رجالنا الى الحرب وكأن كلا منهم قد أتخذ القرار بنفسه .. كل منهم يحارب لانه يريد الحرب لا لانه ينفذ قرارا بالحرب .. وكان هذا هو ما حقق معجزة العبور » .

فى صباح السبت [١٠ رمضان ــ ٦ أكتوبر] ، استيقظت بعد ليلة هادئة ونوم عميق ، وكان برنامجى فى هذا الصباح هو نفس برنامج يومى العادى .. قمت فى الصباح بممارسة التدريبات الرياضية التى تعودت عليها لايمانى بمبدأ « ان لبدنك عليك حقا » ، وكان هذا بعض ما تعلمته فى السجن . فحتى يعيش الانسان فى توازن سليم لابد وأن يحصل على توازن دقيق بين العقل والجسم والروح . فاذا اختل هذا التوازن بين العناصر الثلاثة فسوف يهتز الانسان فى حياته وسلوكه ،وبالتالى فى كل القرارات التى يتخذها .

وهذه اللمحة التى أذكرها الان ربما تكون شخصية بحتة ، ولكن لارتباطها الوثيق بمشاعرى وأفكارى فى ذلك اليوم الخالد، رأيت أن أتحدث عنها حتى أسجل الخلفية الفكرية والوجدانية التى واكبت لحظات ما قبل الثانية بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ .

لا يستطيع الانسان أن يصدر قرارا سليما الا اذا عاش حياة حقيقية بمعنى الكلمة . وهذه الحياة لا تعتمد فى اساسها على الفقر او الغنى بقدر ما تعتمد على ذلك التوازن الدقيق الذى ذكرته . فمثلا تعد تجربة السجن الانفرادى اقصى ما يمكن ان يصل اليه الانسان من كبت واذلال ، ومع ذلك تعلمت منها كيف أصل الى توازن العقل مع الجسم مع الروح ، وبذلك كانت الشهور الستة الاخيرة فى السجن هى أروع ستة شهور عشتها فى حياتى حتى الان .

ولذلك فكل الذى تمكنت من تحقيقه وتنفيذه ، وكل ما سيكتب التاريخ عنه أو لا يكتب ، فان مقياس حياتى هو مقياس النجاح الداخلى النابع من ذلك التوازن الذى منحنى هذا السلام الروحى والهدوء النفسى ليلة الحسم الاعظم . **فالجسم** يحتاج دائما الى تدريب وتنشيط عن طريق الممارسة اليومية والمنتظمة للرياضة البدنية ، أما العقل فيتغذى على القراءة والبحث والدراسة والتحليل حتى لا يصدأ ، **بينما الروح** تعتمد على ايمان الانسان ونظرته الشاملة لهذا الكون ومعتقداته التى تؤكد له أن الله عز وجل خلق له وجودا آخر غير مجرد الوجود الحيوانى البحت . فاذا مارس الانسان هذه الرياضة البدنية والعقلية والروحية وتمكن من هذا التوازن الدقيق ، فانه لا يصبح سيد نفسه فقط بل سيدا على كل ما يواجهه . **ولكن الانسان ــ للاسف ــ فى غمرة المدنية المادية نسى كل هذا ، وتصور أن السعادة هى فى مجرد امتلاك المادة ، وكانت النتيجة أنه لم يفقد السعادة فقط بل فقد نفسه ايضا واصبح ريشة فى مهب الرياح .**

واحمد الله على تجربة السجن التى أمضيت فيها واحدا وثلاثين شهرا من يناير ٤٦ الى يوليو ٤٨ ، فقد منحتنى التوازن الذى يعتمد على السلام الروحى والتنشيط العقلى والرياضة البدنية. وكانت هذه العناصر الثلاثة هى التى جنبتنى الانفعال والعصبية والتشنج .

لذلك استيقظت صباح ٦ اكتوبر ١٩٧٣ واديت التمرينات الرياضية لكى اعطى جسمى حقه ، وكان عقلى فى منتهى النشاط والراحة وعلى استعداد تام لتحمل مسئوليات اليوم الجديد . فعندما يحصل الجسم على لياقته ، فان هذا ينعكس بدوره على العقل . **اما روحى فكانت فى شبه صلاة صامتة من اجل اليوم الذى سنحطم فيه جدار الصمت والخوف والرعب والانهزامية .**

لقد عقدنا العزم على اجتياح كل مايعوق مسيرتنا وليكن مايكون.

فقد كانت حساباتى تدل على ان المكسب لنا مهما كانت النتيجة.

وهكذا استمر برنامج يومى العادى ، فقد كان ٦ اكتوبر ١٩٧٣ بالنسبة لى يوما من أيام العمل الذى حملته على كتفى منذ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بل ومن أيام العمل السياسى والكفاح السرى اللذين خضتهما بكل قواى منذ تخرجى فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨.

فى غرفة العمليات

فى الساعة الواحدة وعشرين دقيقة من يوم ٦ اكتوبر جاءنى الفريق اول احمد اسماعيل كما اتفقنا . خرجنا سويا ولم نركب العربات الخاصة برئاسة الجمهورية بل ركبنا عربة الجيب الخاصة بالجيش وقد ارتديت الزى العسكرى . وتوجهنا الى غرفة العمليات او «المركز ١٠» الذى يقع تحت الارض وقد جهز بأحدث متطلبات الاساليب العسكرية الحديثة ويمكن الاتصال

منه بأى مكان فى مصر سواء فى الجبهة أو فى القاهرة أو الاسكندرية أو أسوان ، حتى فى حالة قطع التليفونات والاتصالات السلكية .

وفى الساعة الواحدة والنصف دخلت غرفة العمليات والقيت بالتحية الى اولادى القادة وكانوا على أتم استعداد وكل واحد منهم يرابط أمام خرائطه ، بينما علقت الخريطة الكبيرة على الحائط ، وثبتت الخريطة التفصيلية على المائدة التى تتوسط الغرفة . وأمامى مباشرة وقف ضابط الدفاع الجوى أمام خريطة مصر التى وضعت وراء حواجز زجاجية لكى يتلقوا البيانات عن أى نشاط لطيران اسرائيل ثم يقومون فى الحال برصده والتعامل معه .

اتخذت مكانى فى الغرفة والقائد العام على يمينى ورئيس الاركان على يسارى والى جانبه الجمسى مدير العمليات وأمام مكتبه مجموعة تليفونات للاتصال بجميع فروع القوات المسلحة ، وكان فى امكاننا ان نشاهد من اماكننا اللوحة الزجاجية فنعرف سير العمليات الجوية بالكامل . وهذا هو النظام المتبع فى كل غرف العمليات الحديثة ، وكانت غرفتنا مثالا لمصر الحديثة التى نتمناها جميعا ونعمل على تحقيقها . فهى مجهزة بأحدث ما فى العصر لكى تناسب الحرب الحديثه التى نديرها منها . صحيح انها كانت فى حدود امكانياتنا المتاحة لكنها كانت تتمشى مع روح العصر تماما

كنا فى العاشر من رمضان وكعادتى دائما كنت صائما . فلم أتعود أن أتذرع بالظروف تهربا من الصيام . هذا برغم ان الدين يسمح بالافطار فى السفر والمرض والحرب بالذات . ولكن نشأتى

فى القرية علمتنى ممارسة الرياضة الروحية فى كل الظروف والاحوال . فهى تحول الصيام والايمان والدين والعبادة والعقيده الى جزء لا يتجزا من كيان الانسان ، ويشعر بأنه لو اخل باحداها فانه يتخلى عن جزء من ذاته وتوازنه . والصيام بالذات تعتبره القرية مسألة رجولة ، وكنا نصوم فى طفولتنا لنثبت اننا رجال . وطالما سافرت من قبل فى رمضان ولكننى لم افطر ابدا . ولم يشذ العاشر من رمضان عن هذه القاعدة بالنسبة لى شخصيا . ولكن كانت تعليماتى تحتم ان يفطر الجميع ، فيجب الا تكون هناك فرصة خطأ او سهو ولو ١ ٪ نتيجة الصيام ، وخاصة بالنسبة للذين اعتادوا التدخين او تناول الشاى او القهوة ، فمن المحتمل جدا ان يؤثر الامتناع عنها فى كفاءة الاداء او اى شىء من هذا القبيل .

طبقا للدين فان الافطار حلال فى هذه الظروف ، وقد اصدرت التعليمات بضرورة الافطار . وعندما جلست فى غرفة العمليات لم ادخن ولم اشرب كوبا من الشاى او التنعناع كعادتى . وكنت اتصور ان القادة قد نفذوا التعليمات بالافطار ولكننى لم اجد احدا منهم يدخن او يشرب شيئا . وعندما سألتهم عن مدى تنفيذهم للاوامر بالافطار ولماذا لا يدخنون ولا يشربون الشاى ؟ اصابهم حرج شديد امامى .

فقلت ان العملية تحتاج الى تركيز شديد وانتباه مكثف ، وفى الحال طلبت كوبا من الشاى وكذلك احضار البايب من عربتى بالخارج وشربت الشاى بالفعل ، فكانت النتيجة ان زال الحرج وشرع الجميع فى التدخين وشرب الشاى .

ضربة الطيران

وحسب الخطة الموضوعة صدر بيان الساعة الثانية ظهرا يعلن ان الاسرائيليين اعتدوا علينا فى البحر الاحمر فى نقطتين واننا نقوم برد الضربة وصد العدوان .ورغم انه لم يحدث ساعتها اى اعتداء اسرائيلى ، الا ان هذا البيان يعتبر اسلوبا دبلوماسيا فى مخاطبة شعوب العالم ، وهو بالنسبة لنا لم يكن خداعا دبلوماسيا ، اى اننا لم نكذب على العالم ، لاننا نعتبر مجرد وجودالقوات الاسرائيلية على ارضنا هو اعتداء مستمر علينا .

وفى لحظة صدور البيان كانت طائراتنا تعبر القناة وتنقض على المواقع الاسرائيلية فى سيناء . واعلن الميكروفون فى غرفة العمليات أن الطيران عبر وتوغل فى سيناء . وكانت فرحة رائعة لا مثيل لها . كنت اجلس هادئا جدا ، ولو تمكن أحد من رؤية نفسى من الداخل فى تلك اللحظة الخالدة لاحس بنوع غريب من الطمأنينة يسرى فى كل كيانى . لم اكن احمل هما من تلك الهموم التى اثقلت كاهلى منذ هزيمة ١٩٦٧ . وكما قلت من قبل أن كل الهموم ذابت بكسرنا حاجز الخوف والهزيمة والمهانة والمذلة والضياع والتمزق وكل الاعراض المرضية التى عانت منها أمتنا العربية ومصرنا الغالية .

بعد ثلث ساعة بالضبط انتهت ضربة الطيران . كانت ضربة رائعة اعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التى انتهكت عام ١٩٦٧ وقبلها فى عام ١٩٥٦ .

كان الهجوم بأكثر من ٢٢٠ طائرة ، ولانه طيران نفاث وسرعته تفوق سرعة الصوت فان الضربة لم تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة ، وقد قام أبنائى بأروع واجب يمكن أن يقوم به اى سلاح طيران فى العالم من حيث الكفاءة والدقة والمفاجأة فى تحقيق كل مهمة اسندت الى طيار **من الطيارين ، وكان تقدير الخبراء الروس أننا سنفقد فى الضربة الاولى من ٣٠ ٪ الى ٤٠ ٪ واننا سنحقق ٣٠ ٪ من الهدف ، ولكننا لم نفقد سوى خمس طائرات اى حوالى ٢ ٪ وحققت الضربة ٩٩ ٪ من الهدف . كانت من بين الطائرات التى فقدت طائرة اخى الاصغر المرحوم** « عاطف » الذى كان فى منزلة ابنى لاننى قمت بتربية كل اخوتى وتعليمهم على طريقتنا فى القرية . فقد بذل ابى اقصى ما فى وسعه لكى يصرف على تعليمى حتى أتمكن بدورى من تربية اخوتى . كان ابى محدود الدخل الى درجة الفقر ولذلك اعتمد على فى تربية اخوتى منذ تخرجى فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ والى أن توليت رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠ .

ولا يعتبرنى اخوتى اخا لهم بقدر ما ينظرون الى كأب ، وكان هذا ايضا فى حياة ابى الذى توفى منذ مدة وجيزة بعد أن توليت رئاسة الجمهورية .كانت مسئولية اخوتى ملقاة على عاتقى بالكامل منذ تحرجى فى الكلية الحربية ، وكان عاطف اصغرهم واحبهم الى قلبى . وطالما جاءنى والحماس والانفعال يأخذان منه كل مأخذ وهو يحكى لى عن التدريب الشاق الذى يتلقاه والمعركة التى ينتظرها الجميع بشوق بالغ ، ولذلك اخفى احمد اسماعيل وحسنى مبارك نبأ استشهاد عاطف عنى ، ولم يصرحا بأكثر من أننا فقدنا خمس طائرات فقط .

استشهد أخى عاطف فى الدقائق الخمس الاولى من بدء المعركة . كان من المفروض أن يضرب السرب دفاعات أحد المطارات الاسرائيلية فى عمق سيناء لكى يمهد الجو لزملاء السرب القادم خلفه حتى يضربوا المطار ضربا نهائيا لان دفاعات المطار تكون حينئذ قد عجزت تماما عن اداء واجباتها . وبالفعل حقق عاطف مع سربه مهمته بالقضاء التام على دفاعات المطار . وبعد ذلك جاء السرب التالى لهم لكى يدك المطار دكا كاملا ويحوله الى حطام وحرائق . وكان من الممكن فى هذه اللحظة أن يعود أخى عاطف سالما اذ انه كان قد ادى واجبه كاملا طبقا للاوامر الصادرة اليه ، ولكنه اصر على التأكد من أن دفاعات المطار قد قضى عليها تماما فعاد ادراجه وكان استشهاده فى عودته .

ولكننى لم اكن افرق بين ابنى واخى عاطف وبين أولادى الطيارين ، فلم يكن اخى سوى واحد ضمن باقة الشهداء الغالين الذين ضحوا بحياتهم لكى تعود الينا الكرامة والكبرياء والطمأنينة والثقة .

والحمد لله لم نفقد من طائراتنا سوى خمس طائرات . وخسارة خمس طائرات فقط من مائتين وعشرين طائرة تعنى أن الضربة كانت ناجحة مائة فى المائة وحققت كل اهدافها .

قلت للقادة : هؤلاء هم أولادى يعودون الى سابق مجدهم فقد كانت ضربة الطيران هذه هى سر نجاح خطتنا لانها افقدت اسرائيل توازنها بضرب جميع مراكز القيادة ودكها تماما . وهذه المراكز تشمل مراكز السيطرة مثل ادارة الطيران والدفاع الجوى والشوشرة وغيرها من الشرايين الحيوية لاى جيش حديث .

الشهيد عاطف السادات

وبالطبع عندما يندك كل هـذا فى وقت واحد فلابد وان يصاب الجيش الاسرائيلى كله بالشلل التام . ولذلك صرحت بعـد أربع سـاعات من بدء المعركة أن اسرائيل قد فقدت توازنها تماما، ولكى تستعيد كل مراكز القيادة هذه وتبنيها من جديد يكون الوقت قد مر فى غير صالحها، ونكون قد انتهينا من مهمتنا الاساسية الاولى .

والفضل فى هذا كله يرجع الى ضربة الطيران المحـكمة الموفقة التى اذاقت اسرائيل لفحات الجحيم المستعر الذىعاشت فيه مصر منذ التاسعة صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧ الى الثانية ظهر يوم السبت السادس من اكتوبر ١٩٧٣ . **منذ تلك الساعة الخالدة صدرنا الجحيم الى اسرائيل لكىتعود الى حجمها الطبيعى : مجرد دولة تابعة تعيش على صـدقات الاخرين وحسناتهم .**

ولعل هذا من الاسباب التى ادت الى اختيـارى لحسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية لانه فى ضربة واحدة افقد اسرائيل توازنها ، وفتح الطريق أمام قواتنا المسلحة كىتحطم الىالابد خرافة الجيش الذى لا يقهر، وانهى اسطورة التفوق الاسرائيلى التى خدعت العرب حوالى ربع قرن من الزمان ، واستعاد لسلاح الطيران المصرى كرامته التى جرحت فى معركتى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ نتيجة لاهمال القيادة فى المعركتين .

ولم يستعد حسنى مبارك كرامة الطيران فقط ، بل كرامة القوات المسلحة وكرامة الشعب المصرى وكرامة الامة العربية كلها . وقد نجحت كل التكتيكات والخطط التى اتفقنا على ان ينفذها سلاح الطيران بحيث ظل سليما ومتماسكا تماما حتى الايام الاخيرة من المعركة.